حياة الصحابة على
مائدة القرآن

من وصايا الصحابة والتابعين

- **وصايا الصحابة لأبنائهم**
- **وصايا الصحابة والعلماء لحملة القرآن**
- **من نفائس وصايا التابعين .**
- **وصية عتبة بن أبي سفيان ووصية ولدَه عمرو بن عتبة.**
- **من نفائس وصايا عمر بن عبد العزيز .**

obeikandl.com

وصايا الصحابة لأبنائهم

الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلاميذ مدرسة النبوة، وقد حازوا درجات السبق في العلم والعمل، وعمروا البلاد التي انتشروا فيها بالرحمة والعدل، وحفلت تراجمهم وسيرهم ببدائع المشاهد والقصص، وروائع الحكم والوصايا لتلاميذهم وأبنائهم[٦٦].

وإليك مقتطفات من هذه الوصايا التي تعد نموذجاً لاهتمام هذا الجيل القرآني بتربية أبنائهم وغرس الفضائل في نفوسهم .

*** وصية عمر بن الخطاب t :**

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما وصية قال فيها : (أما بعد : فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لاعمل لمن لا نيَّة له، ولا خير لمن لا خشية له) [٦٧] .

*** وصية علي بن أبي طالب t :**

قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما :

يا بني : رأس الدين صحبة المتقين، وتمام الإخلاص اجتناب المحارم، وخير المقال ما صدَّقه الفِعال.

اقبل عذر من اعتذر إليك، واقبل العفو من الناس، وأطع أخاك وإن عصاك، وَصِلْهُ وإن جفاك) [٦٨].

*** وصية سعد بن أبي وقاص t :**

وقال سعد بن أبي وقاص t يوصي ولده :

(يا بني، إياك والكِبْر، وليكن فيما تستعين به على تركه عِلمُكَ بالذي منه كنتَ، والذي إليه تصير .

---

(٦٦) ينظر كتاب : صحابة رسول الله e وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به - للمؤلف - .

(٦٧) العقد الفريد ٣/ ١١٤ .

(٦٨) كنز العمال ٦/ ٢٦٩ .

obeikandi.com

وكيف الكِبْر على النطفة التي منها خُلقت، والرحم التي منها قُذفت، والغذاء الذي به غُذيت؟) [٦٩].

(يا بني، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنها مالٌ لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر) [٧٠] .

*** وصية عبادة بن الصامت t لولده :**

عن عطاء بن أبي رباح قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟

قال : جعل يقول : (يا بني اتق الله، واعلم أنَّك لن تتقيَ الله، ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله وحده وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

قلت : يا أبت كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشرِّه ؟

قال : (تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإنْ متَّ على غير هذا دخلت النار) [٧١] .

فتأمل هذه النماذج البديعة من تربية الصحابة الأجلّاء لأبنائهم على الرضا بقضاء الله تعالى، وغرس الفضائل في نفوسهم، حتى اللحظات الأخيرة قبل فراق الدنيا.

*** وصية معاذ بن جبل t لولده :**

عن معاوية بن قُرَّة قال : قال معاذ بن جبل لولده : (يا بني إذا صليت فصلِّ صلاة مودِّع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنةٍ قدَّمها، وحسنة أخَّرها) [٧٢].

*** وصية عبد الله بن مسعود t :**

عن الشعبي قال : لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال : يا عبد الرحمن بن عبد الله بن

---

(٦٩) العقد الفريد ٢/ ١٨٥ .

(٧٠) العقد الفريد ٣/ ١٦٤ .

(٧١) طريق الهجرتين وباب السعادتين – ص/ ٧٨ وصايا العلماء عند حضور الموت – ص/ ٦٧.

(٧٢) صفة الصفوة لابن الجوزي – ١/ ٢٣٢ .

obeikandi.com

مسعود، إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني :

١) أَظهِر اليأس للناس[٧٣] فإن ذلك غنى فاضل.

٢) ودَعْ مَطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر.

٣) ودع ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به[٧٤].

٤) وإن استطعت أن لا يأتي عليك يوم إلا وأنت خيرٌ منك بالأمس فافعل.

٥) وإذا صليتَ فصلِّ صلاة مودع، كأنك لا تصلي بعدها[٧٥] .

*** وصية أبي الدرداء t :**

عن راشد بن سعد قال جاء رجل إلى أبي الدرداء ، فقال: أوصني، قال: (أذكر الله في السراء بذكرك في الضراء، واذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم) [٧٦].

وعن عبد الله بن مُرَّة أن أبا الدرداء قال: (اعبد الله كأنك تراه، وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يغنيك خيرٌ من كثير يلهيك، وأن البر لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى[٧٧].

*** وصية الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه :**

(يابني : إذا جالستَ العلماء فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك على أن تقول، وتعلَّم حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولاتقطع على أحدٍ حديثاً وإن طال حتى يُمسك) [٧٨].

وقال **t** لبنيه ولبني أخيه : (تعلموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب) [٧٩] .

---

(٧٣) أي: لاتطمع في أموالهم ودنياهم.

(٧٤) أي : ابتعد عن الأعمال والأقوال التي توقعك في الخطأ مع الناس وتحتاج بسببها إلى الاعتذار منهم.

(٧٥) وصايا العلماء عند الموت – للإمام أبي سليمان الربعي – ص/ ٦٩ .

(٧٦) سير أعلام النبلاء – ٢ / ٣٥٠ .

(٧٧) سير أعلام النبلاء – ٢ / ٣٥٠.

(٧٨) جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر – ١ / ١٣٠ .

(٧٩) جامع بيان العلم وفضله ص/ ٩٩ .

obeikandl.com

وصايا الصحابة والعلماء لحملة القرآن الكريم

* روى الإمام الآجري عن **عمر بن الخطاب t** قال: (لقد آتى علينا حينٌ وما نرى أن أحداً يتعلم القرآن يريد به إلا الله عز وجل، فلما كان ها هنا خشيت أن رجالاً يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا الله بقرءتكم وأعمالكم) (٨٠).

وعلق الإمام الآجري قائلاً: (فإذا كان عمر بن الخطاب قد خاف على قومٍ قرأوا القرآن في ذلك الوقت بميلهم إلى الدنيا، فما ظنك بهم اليوم).

وكلام الإمام الآجري هذا قبل أكثر من ألف عام، فما ظنك بأحوال الناس اليوم؟ وما أحوج حفاظ القرآن للتحلي بالإخلاص والخشية من المولى الجليل سبحانه، واليقظة والحذر من مداخل الشيطان ووساوسه .

* روى الإمام الدارمي أن رجلاً جاء إلى **أبي الدرداء t** فقال له: إن إخواناً لك من أهل الكوفة يُقْرؤونك السلام، ويأمرونك أن توصيهم .

فقال: (أقرئهم السلام، وأْمرهم أن يربطوا القرآن بخزائمهم(٨١)، فإنه يحملهم على السهولة والقصد) (٨٢) .

*** وعن عبد الله بن مسعود t** قال :

(ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس

---

(٨٠) أخلاق حملة القرآن وأهله – للإمام أبي بكر الآجري (المتوفى ٣٦٠ هـ) .

(٨١) خزائمهم: جمع خزامة، وهي الحلقة التي تُجعل على أنف البعير، والمراد: التشمير لهذا الأمر، والعناية بتعلُّم القرآن وتعليمه والتمسك به .

(٨٢) رواه الدارمي في سننه – رقم/ ٣٣٣٠، وابن أبي شيبة في مصنفه – ١٠/ ٥٢٧ .

obeikandl.com

يختالون) [٨٣] .

* **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما أنه قال:

(من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يُوحى إليه، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يحِدَّ فيمن يحِد[٨٤]، ولا أن يجهل فيمن يجهل وفي جوفه كلام الله عز وجل) [٨٥].

* وعن **الفضيل بن عياض** - رحمه الله - أنه قال :

(حاملُ القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن)[٨٦] .

وقال أيضاً : (ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الناس، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه) [٨٧].

* وقال **أبو بكر الآجري** - رحمه الله - وهو يتحدث عن أخلاق أهل القرآن:

(ينبغي أن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه، يَعْمُر به ما خَرِب من قلبه، يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاق شريفةٍ يتميز بها عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن .

وأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السرِّ والعلانية، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومكسبه، بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يَحْذرهم على دينه، مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه، مميزاً لكلامه، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشدَّ مما يخاف من عدوِّه ... يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه .

---

(٨٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ١٣٠، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص/ ٥٩ ، وأورده النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن – ص / ٤٣.

(٨٤) أي: لا تعتريه شدة الطيش والغضب كما تعتري غيره .

(٨٥) رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٥٥٢ وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في كتابه: أخلاق حملة القرآن - ص/ ٥٦ وغيرهما .

(٨٦) التبيان - للإمام النووي - ص / ٤٤ .

(٨٧) أخلاق حملة القرآن – للإمام الآجري - ص/ ٧٥ .

obeikandi.com

يتصفح القرآن ليؤدِّب نفسه .. همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر والانتهاء عما نهى، ليست همَّتُهُ : متى أختم السورة؟ همَّتُهُ : متى أستغني بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين ؟ متى أكون من المحسنين ؟ متى أكون من المتوكلين ؟ متى أكون من الخاشعين؟ ... متى أتوب من الذنوب؟ متى أعرف النعم المتواترة ؟ متى أشكر عليها ؟ متى أعقل عن الله الخطاب ؟ متى أفقه ما أتلُو ؟ ... متى أستحي من الله حق الحياء ؟ متى أشتغل بعيبي . متى أُصلح ما فسد من أمري ؟ متى أحاسب نفسي ؟ متى أتزودُ ليوم ميعادي؟ .. متى أتأهبُ ليوم موتي وقد غُيِّب عني أجلي ؟ متى أعمِّر قبري؟

فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قَبُح منه، فما حذَّره مولاه حَذِره، وما خوَّفه به من عقاب خافَه، وما رَغَّبه فيه مولاه رَغِبَ فيه ورجاه.

فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً ... ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى ولده كلُّ خير في الدنيا والآخرة) [٨٨] .

وأكد الإمام الآجري رحمه الله على أهمية تمسك حملة القرآن بالأخلاق الفاضلة والحذر من قبيح الأخلاق، لأنهم قدوة لمن حولهم في أقوالهم وأفعالهم، فإذا عمل أحدهم بالأخلاق التي لا تَحسُنُ بمثله اقتدى به الجُهال، فإذا عِيبَ على الجاهل قال: فلانٌ الحامل لكتاب الله فعل هذا، فنحن أولى أن نفعله !! [٨٩].

فليحرص حفاظ القرآن الكريم على التخلقِ بالشيم والخصال الحميدة ليحظوا بالمقام العالي ومقتدين بالرسول ﷺ الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) .

(٨٨) أخلاق حملة القرآن – للإمام الآجري ص / ٣٨-٤٥ . باختصار .

(٨٩) المرجع السابق ص/٥٤.

من نفائس وصايا التابعين

التابعون ثمرات يانعة لمدرسة النبوة، فقد تربوا على أيدي الصحابة رضي الله عنهم، ونهلوا من علمهم وأدبهم، وقد أثنى عليهم الرسول ﷺ فقال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) [٩٠].

فما أحوجنا أن نحيا في رحاب وصاياهم وتوجيهاتهم البديعة، وأن نتدبر مواعظهم وأقوالهم، ومن أبرز هؤلاء التابعين :

*** عروة بن الزبير** [٩١] :

وقد كان يحث أبناءه على أن يتخذوه قدوتهم في طلب العلم،فيقول لهم :

يابني،إن أزهد الناس في العالم أهله، فهلموا إليَّ فتعلَّموا مني، فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم، إني كنت صغيراً لا يُنظر إلي، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني، وما من شيء أشد على امرئ مِنْ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله) [٩٢].

*** الحسن البصري** [٩٣] :

من بدائع وصاياه ومواعظه قوله : (المبادرة عباد الله ! المبادرة ! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت أعمالكم التي تقرَّبون بها الى الله عز وجل، رحم الله امرءاً نظر إلى نفسه وبكى على ذنوبه.

---

(٩٠) رواه البخاري –رقم/٦٤٢٨، ومسلم- رقم/٢١٠ .

(٩١) هو ابن الصحابي الجليل الزبير بن عوام t وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، ولد عروة بن الزبير سنة ثلاث وعشربن وتوفي سنة تسعين، وهو ابن سبع وستين سنة (سير أعلام النبلاء ٤/٤٢١).

(٩٢) البيان والتبيين - للجاحظ ٢/٥٥ .

(٩٣) الحسن البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت t وكانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها، إمام أهل البصرة، ولد في خلافة عمر t ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، توفي سنة ١١٠هـ وعمره ثمان وثمانون سنة، (سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣).

obeikandl.com

ثم قرأ هذه الآية M ^ _ ` a b c d e f g L [94] ثم بكى، وقال : آخر العدد خروج نَفَسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك) [95] .

ومن أقواله رحمه الله: (كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعه وزهد لسانه وبصره) [96].

*** محمد بن واسع[97]:**

هو الإمام والعالم الرباني الذي قال عنه جعفر بن سليمان : (كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوتُ فنظرتُ إلى وجه محمد بن واسع .

قال حماد بن زيد : جاء رجل لمحمد بن واسع فقال أوصني :

قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال : كيف ؟

قال : ازهد في الدنياً [98].

*** إبراهيم التيمي[99]:**

وأما وصية عابد الكوفة، الإمام القدوة التابعي إبراهيم التيمي فهي بطريقة مختلفةحيث يوجه الوصية لنفسه، وذلك عن طريق التصور أو التمثيل للنفس أنها مرة تكون في الجنة وأخرى تكون في النار، فيقول :

(مثَّلتُ نفسي في الجنة، آكل ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلتُ نفسي في النار،

---

(٩٤) سورة مريم آية /٨٤ .

(٩٥) قصر الأمل - لابن أبي الدنيا – رقم / ١٤٦.

(٩٦) الزهد للإمام أحمد (سير أعلام النبلاء ٤ /٥٨٣).

(٩٧) هو الإمام محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، حدَّث عن أنس بن مالك رضي الله عنه وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة (سير أعلام النبلاء ٦ /١١٩) .

(٩٨) سير أعلام النبلاء – ٦ /١٢١ .

(٩٩) هو الإمام إبراهيم بن يزيد التيمي، وكان فقيهاً واعظاً ويُعد هو وأبوه يزيد من أئمة الكوفة - توفي ٩٤هـ ولم يبلغ عمره أربعون سنة (سير أعلام النبلاء ٥ /٦٠) .

obeikandl.com

آكل زقومها، وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي : (أيْ نفسي) أيّ شيء تريدين؟

قالت : أريد أن أُردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قلت : فأنتِ في الأُمنية فاعملي)[١٠٠].

فإذا كانت هذه وصية هذا الإمام لنفسه فهي لتلاميذه من باب أولى، فالنفس إذا تمنت العمل الصالح قبل الموت فالعمل مُتاح لها، والتسابق إلى الخيرات بابُه مفتوح، فلتسارع قبل فوات الأوان.

*** طاووس بن كَيْسان [١٠١]:**

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : ماوعظني أحد أحسن مما وعظني طاووس، كتب إليَّ : (استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كلّه، ولا تستعن بأهل الشر فيكن عملك شراً كله)[١٠٢].

وعن عطاء بن أبي رباح قال :قال لي طاووس : (يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجَّابه، ولكن أَنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك[١٠٣].

*** محمد بن سيرين [١٠٤]:**

اشتهر الإمام التابعي الجليل محمد بن سيرين بتعبير الأحلام، ومن وصاياه لكثير ممن يأتونه ليسألوه عن تفسير ما يراه أحدهم في المنام، أن يقول : (اتق الله وأحسِنْ في اليقظة، فإنه لا يضُّركَ ما رأيتَ في المنام) [١٠٥].

---

(١٠٠) محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا - ص٢٦.

(١٠١) هو الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان أدرك خمسين من الصحابة، توفي بمكة في السابع من ذي الحجة سنة ست ومائة (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨) ، (صفة الصفوة ٢/ ٥٧٢).

(١٠٢) المجالسة وجواهر العلم – ٢/ ٣٠٧.

(١٠٣) صفة الصفوة ٢ / ٥٧٤.

(١٠٤) هو الامام أبو بكر محمد بن سيرين البصري، مولى أنس بن مالك t ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة عشرٍ ومائة (سير أعلام النبلاء – ٤/ ٦٠٦)

(١٠٥) بهجة المجالس – ٢/ ١٤٨.

- ومن بدائع وصاياه قوله : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [١٠٦]

- وأخته هي التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين[١٠٧]، من أبرز وصاياها : (يامعشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيتُ العمل إلا في الشباب) [١٠٨].

*** طلق بن حبيب العنزي[١٠٩] :**

من علماء البصرة ، وكان طيب الصوت بالقرآن ، ومن وصاياه قوله رحمه الله : (إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ، وإن نِعم الله أكثر مِن أن تُحصى ، ولكن أصبِحوا تائبين ، وأمسوا تائبين) [١١٠].

وعن سفيان قال : كان طلق إذا قرأ بكى وأبكى ، وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى، مِن رقته وحُسنِ صوته .

وقالت له أمه : (ما أحسن صوتك يا بني بالقرآن ، فليته لا يكون وبالاً عليك غداً في القيامة) ، فبكى حتى غُشي عليه [١١١].

فتأمل وصية تلك الأم المربية وتأمل ثمرة تربيتها وتوجيهها .

---

(١٠٦) سير أعلام النبلاء – ٤/ ٦١١.

(١٠٧) حفصة بنت سيرين محدِّثة فقيهة، عاشت سبعين سنة وتوفيت ١٠١ هـ (سير أعلام النبلاء – ٤/ ٥٠٧).

(١٠٨) صفة الصفوة - ٤/ ٢٤ .

(١٠٩) هو الإمام طلق بن حبيب ، قال عنه طاووس : ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه ، توفي قبل المائة (سير أعلام النبلاء - ٤/ ٦٠١) .

(١١٠) سير أعلام النبلاء – ٤/ ٦٠٢ .

(١١١) الرقة والبكاء – لابن أبي الدنيا – رقم ٨٧ .

obeikandl.com

وصية عتبة بن أبي سفيان ووصية ولده عمرو

وصية عتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان [١١٢] يُوصي مؤدِّب ابنه[١١٣]:

(ليكُن أول ما تبدأ من إصلاح بَنيَّ إصلاحُ نفسك، فإن أعيُنهم معقودةٌ بعينيكَ، فالحَسنُ عندهُم ما استحسنت، والقبيحُ عندهُم ما استقبحت، وعلمهِّم كتاب الله، ولا تكرِهِهمُ عليه فيملوه، ولا تترُكهُم منه فيهجروه، ثم روِّهِم من الشعر أعَفَّهُ، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضِلَّةٌ للفهمِ، وتهدَّدْهُمْ بي، وأدِّبهُم دوني، وكُن لهُم كالطبيب الذي لا يعجَل بالدَّواءِ قبلَ معرِفَةِ الداءِ، وجَنِّبهُم محادَثَة النِّساءِ، ورَوِّهِم سير الحُكماء، واستزدني بزيادتك إياهُم أزدك، وإياكَ أن تتكل على عُذرٍ مِنّي لك، فقد اتّكلتُ على كِفاية مِنك، وزِد في تأديبهم أزدك في بِرِّي، إن شاء الله تعالى).

وقد أكد عمرو بن عتبة أن أباه كان دائم الحرص على توجيه أبناءه ونصحهم، فقال: (كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا، فأراد مرة سفراً فقال: يابني: تألَّفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبلُ شيء لِما أُعطيت، فاحملوها على مطيةٍ ولا تُبطىء إذا رُكبت، عليها نجا من هَرب من النار، وأدرك من سابق إلى الجنة، فقال الأصاغر : يا أبانا، ما هذه المطية؟ فقال: التوبة) [١١٤].

وفي هذه الوصية حثٌ للأبناء على شكر المنعم، وتسخير النعم في طاعة المولى عز وجل، وأن تكون التوبة هي المطية للسير في الطريق لبلوغ الجنة والهرب من النار .

---

(١١٢) عتبة بن أبي سفيان توفي سنه ٤٤ هـ و كان أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية t ، فقدمها سنة٤٣ هـ ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطاً، فابتنى داراً في حصنها القديم وتوفي بها .(الأعلام للزركلي ٤ / ٢٠٠) .

(١١٣) البيان والتبيين ٢ /٦٨ - ٦٩ ؛ وشرح مقامات الحريري ٥ /٢١٤؛ وجمهرة وصايا العرب ٢ /٣٩٨ - ٣٩٩ .

(١١٤) وصايا الآباء إلى الأبناء – د. محمود شاكر سعيد ص /١٣٨.

ولقد نشأ ولده عمرو متمسكاً بهذه التربية وهذه الخصال الحميدة وأورثها لابنه سفيان، كما سنرى في الوصية التالية :

وصية عمرو بن عتبة

* روى النهرواني عن سفيان بن عمرو بن عتبة[١١٥]، قال:

(لما بلغت خمسَ عشرة سنة، قال لي أبي : أي بُنيَّ ! قد انقطعت عنك شرائع الصِّبا، فاختلط بالخير تكن من أهله، ولا تزايله فتَبين منه [١١٦] كله، ولا يغرَّنَّك من اغترَّ بالله U فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك [١١٧]، واعلم أنَّه يا بني لا يقول أحدٌ فيك من الخير ما لا يعلم إذا رضي، إلا قال فيك مثله من الشر مما ليس فيك إذا سخط [١١٨]، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من عواقبهم، ولا تنقل حُسن ظنِّي بك إلى غيره [١١٩].

قال سفيان : فما زال كلام أبي لي قِبلة [١٢٠] أنتقل معها ولا أنتقل عنها [١٢١].

إشارة إلى تمسكه – رحمه الله- وحرصه الشديد على الالتزام بوصية والده، فهي دائماً نصب عينيه لا يحيد عنها.

ولتلاحظ اهتمام الأب بهذه الوصية لابنه الذي كان في مقتبل العمر وفي بداية مرحلة الشباب، مما كان لها الأثر الكبير في نفس ولده سفيان حتى أصبحت كلماتها راسخة في ذهنه ووجدانه، يلتزم بها ويرويها للآخرين [١٢٢].

---

(١١٥) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، ابن أخي معاوية t .

(١١٦) ولا تزايله : أي لا تتحول عنه . فتبين منه : أي تفارقه وتخالفه وتهجره، والمعنى : إنك إن تحولت عن طريق الخير ستكون بعيداً عنه وعن أهله.

(١١٧) أي : يمدحك بصفات لا توجد فيك فيوقعك في الغرور .

(١١٨) المقصود أنَّ من كان متهاوناً في الثناء وذكر المحاسن دون أن يتحرى الصواب وهو في حالة الرضا، فإنه في حالة السخط سيكون أشد تهاوناً في ذكر المساوىء والافتراء بالباطل .

(١١٩) لا تجعلني أتحول عن حسن الظن بك إلى سوء الظن بسبب أفعالك .

(١٢٠) قِبلة : الجهة والمقصد، يقال (فلان ما له قِبلة) إذا لم يهتد لجهة أمره .

(١٢١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي – للإمام أبي الفرج النهرواني – ٢/ ٢٤٤ .

(١٢٢) وصايا الآباء إلى الأبناء ص/١٣٧.

obeikandl.com

من نفائس وصايا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أولاً : وصيته لولده عبد الملك رحمه الله :

حكي عن ميمون بن مهران أنَّه قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز[١٢٣] فوجدته يكتب إلى ابنه عبد الملك :

أما بَعد فإن أَحق ّ من وعى عنِّي وفهم قولي أنت، وإنَّ الله ـ وله الحمد ـ قد أحسن إلينا في لطيف أمرنا وجليله، وعلى الله جلَّ وعزَّ تمام النعمة، فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى أبيك، فإنَّك إن استطعت أن تُصدِّق ذلك كلَّه بعمل تعمله وصلاةٍ أو صوم أو صدقةٍ قبِل ذلك منك، وإيَّاك والعزَّة والعظمة والكبرياء فإنَّه من عمل الشيطان وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين، M إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ L [١٢٤] .

واعلم أنَّ الشبابَ - إلا ما وقى الله ودفعَ - عونٌ على أمور كثيرة من السوء، وفيه لعمري معونة كثيرة على الخير لمن رزقه الله، فاحذر شبابك، وإيَّاك أن تعلم في قلبك زُهوَّاً أو كِبراً، فإنَّه ما لم يكن من ذلك كان خيراً، واحفظ لسانك ونفسك حفظاً ترجو فيه رحمة الله عزَّ وجلَّ ومغفرته .

واذكر صِغر أمرك وحقارة شأنك، وليس كتابي هذا لأن يكون بلغني عنك إلا خيراً، غير أنَّه قد

---

(١٢٣) هو الإمام الحافظ والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان، تابعي من أهل المدينة، حفظ القرآن وهو غلام صغير وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب t ، ولد سنة ٦٣ هـ وتوفي سنة إحدى ومائه (سير أعلام النبلاء - ١١٤/٥) .

(١٢٤) سورة يوسف آية / ٥٣ .

obeikandl.com

بلغني عنك شيء من بعض إعجابك بنفسك، ولو بلغني أنَّ ذلك خرج عنك إلى أمر كرهتُه لبلغك عني أمرٌ يشتدُّ عليك كراهته [١٢٥]، وعُرّفت مع ذلك أنَّ الشباب والحرص والنعمة يحمل ذلك كله على أمر شديد إلا ما وقى الله ودفع، فكن يا بني على حذر، فإنَّ الشيطان قلَّ ما يصيب فرصته بمن احترس منه بدعاء الله جلَّ اسمه والتواضع له، وأكثر تحريك لسانك في ليلك ونهارك بذكر الله، فإنَّ أحسن ما وصلتَ به حديثاً حسناً ذكر الله جلَّ اسمه، وأحسن ما قطعت به حديثاً سيِّئاً ذكر الله تبارك وتعالى، وأعِن على نفسك بخير . نسأل الله لنا ولك حسن التوفيق والسلام) [١٢٦] .

ثانياً : وصيتهُ إلى مؤدب أبنائه :

-وقال رحمه الله يوصي سهل بن صدقة مؤدِّب أبنائه :

(أما بعد، فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب وُلدي ... وليكن أولُ ما يعتقدون من أدبك بُغضَ الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني يُنبت النفاق في القلب ...) [٢].

ثالثاَ : وصية الوداع :

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه حَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال :

(أما بعد ؛ فإنَّكم لم تُخلَقوا عبثاً، ولن تُتركوا سدى، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله تبارك وتعالى فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرِم من جنة عرضها السموات

---

(١٢٥) وقد كان عبد الملك رحمه الله من كبار الصالحين، مستجيباً لوصية والده عمر بن عبد العزيز، بل كان يشد من أزر والده ويوصيه، فقد ذكر الإمام الماوردي أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على أبيه فوجده نائماً، فقال: (يا أبتِ أتنام والناس بالباب ؟) فقال: (يابني، نفسي مطيتي، وأكره أن أتعبها فلا تقوم بي) [أدب الدنيا والدين للماوردي – رقم/٢٦٨] .

(١٢٦) المحاسن والمساوىء – للشيخ إبراهيم البيهقي – ص/٦٠٥ .

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز – ص/٢٥٧

والأرض، ألم تعلموا أنَّه لا يأمن غداً إلا من حَذر اليوم وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان ؟! ألا ترون أنَّكم في أسلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين، كذلك حتى يُرَدَّ الأمر إلى خير الوارثين؟! ثم إنَّكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه، حتى تُغيِّبوه في صدع من الأرض، في بطن صدعٍ غير موسَّدٍ ولا ممهَّدٍ، قد فارق الأحباب وباشر التراب، وواجه الحساب، فهو مرتهنٌ بعمله، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدَّم ؛ فاتقوا الله قبل انقضاء مواقيته ونزول الموت بكم، أما إنِّي أقول هذا) .

ثم رفع طرف ردائه على وجهه ؛ فبكى – بكاءً شديداً – وأبكى من حوله [١٢٧] .

(١٢٧) المجالسة وجواهر العلم – للدينوري - ٣/ ٣٤٤، وعيون المعارف لابن قتيبة ٢/ ٢٦٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٠٧ .

obeikandl.com